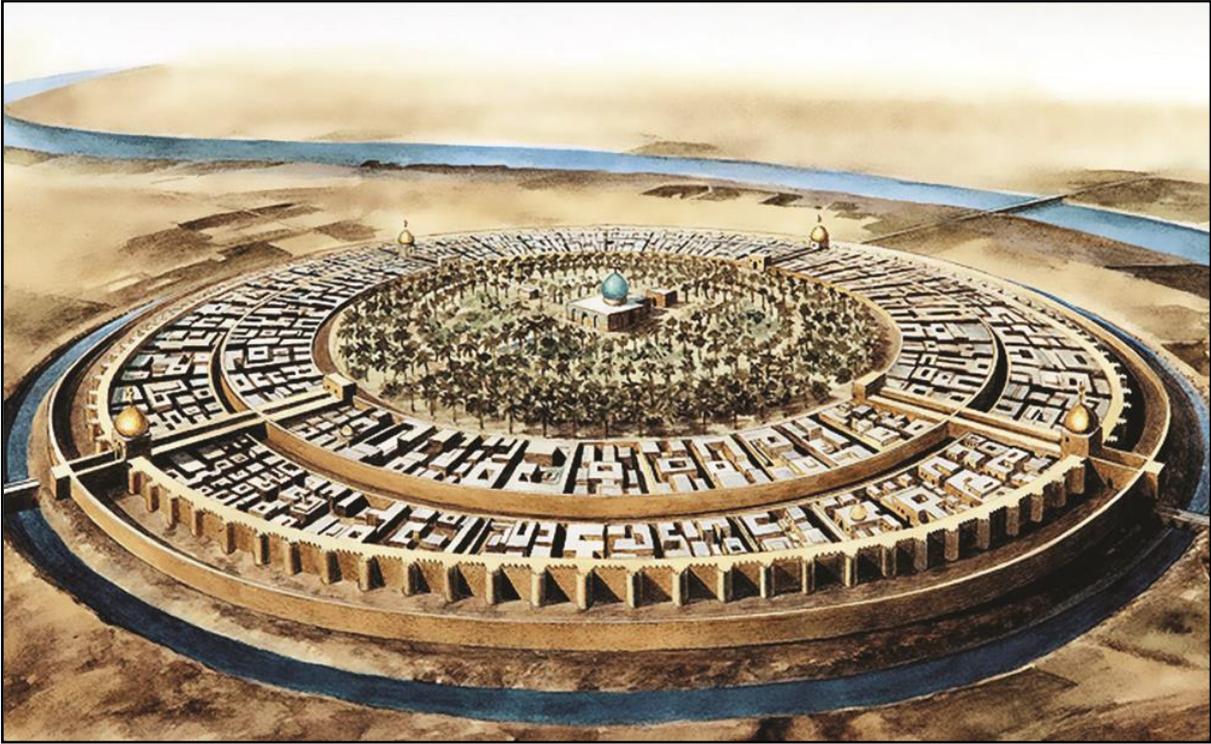


فُرصُ توظيف الأديباء في البلاطات الإسلامية في القرن الرابع الهجري

الدكتور بلال الأرفه لي*

ترجمة مريم سعيد العلي**



مخطط لمدينة إسلامية

يُقلق سوق العمل المشتغلين بالأكاديميا، في بدايات مشوارهم المهنيّ على الأقلّ، إذ يكبّ طلاب الدراسات العليا على الاستعلام من أساتذتهم عن إجراءات التوظيف المتنبّعة لملء شواغر المناصب الأكاديميّة. تأتي الإجابة واضحة. فبعد تدريب تعليميّ جادّ يُفضّل أن يتمّ في جامعة مرموقة، على الطالب أن يستطلع سوق العمل، غالبًا بتصفّح شبكة الإنترنت وقوائم البريد الإلكترونيّ أو مواقع إلكترونيّة

* أستاذ الدراسات العربيّة في الجامعة الأميركيّة في بيروت ورئيس دائرة العربيّة ولغات الشرق الأدنى.

** حاصلة على دكتوراه في اللغة العربيّة وآدابها من دائرة العربيّة ولغات الشرق الأدنى بالجامعة الأميركيّة في بيروت.

متخصصة، يُعاين وظائف مُتاحة مناسبة ويتقدّم لطلبها. ويُعدّ البحث والتعليم والعمل الإداريّ التنظيميّ من أبرز المهامّ المتوقّعة من شاغلي المناصب الأكاديميّة في الجامعات. يشتمل ملفّ طلب التوظيف عادةً على خطاب وسيرة ذاتيّة (CV) ورسائل توصية وأحياناً على عيّنة كتابة أو جزء من عمل منشور. ويتبع ذلك كلّه مقابلة شخصيّة، وإذا حالف المتقدّم الحظّ يحصل على عرض، وفور مناقشة عرض العمل والاتفاق المبدئيّ عليه، يوقّع الطرفان، الشخص المتقدّم والمؤسسة، عقداً. وفيما يسارع بعض المتقدّمين إلى قبول العرض المتاح من دون تعديل، يفاوض آخرون سعيّاً لانتزاع شروط عمل أفضل. بعضهم يشغلون المنصب نفسه طوال مسيرتهم الأكاديميّة وترتبط أسماؤهم بالمؤسسة التي يعملون بها، أمّا بعضهم الآخر فيتوقون إلى آفاق أرحب ما يضطرهم إلى خوض تجربة البحث والتقديم الطويلة نفسها ثانيةً. تتفاوت المناصب بالطبع من حيث الجهد الذي تتطلبه وكذا من حيث الأجور وسوى ذلك. أمّا بعض الباحثين فتمنحهم شهرتهم المكتسبة مع الوقت حرّية التنقل بين الجامعات، حتّى إنّ منصباً ما قد يُعدّ ويهيأ لاستدراج باحثين محدّدين.

فهل كانت الأمور تسير بالطريقة نفسها في العالم الإسلاميّ الوسيط؟ كيف كان العلماء والأدباء يحصلون على المناصب في البلاطات؟ وكيف كانوا ينتقلون من بلاط إلى آخر؟ يعالج هذا المقال قضايا عدّة حول "سوق العمل" في الوسط الأدبيّ في العالم الإسلاميّ طوال القرن الرابع الهجريّ، وذلك من خلال استعراض أمثلة مُنتقاة من كتابي **مختارات ذائعي الصيت لأبي منصور الثعالبي** (ت. ١٠٣٩/٤٢٩).

كان أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي أدبياً، وشاعراً، وناقداً، ولغوياً، ومؤرّخ أدب، وعالمًا غزير التآليف، وواحدًا من أبرز الوجوه الأدبيّة ما بين القرنين الرابع والخامس الهجريّين.^١ ولعلّ أهمّ إسهامات الثعالبي في المكتبة العربيّة تصنيفه في التأريخ الأدبيّ سيّما كتابيه الشهيرين في المختارات، نعتي بهما **يتيمة الدهر** وذيله **تنمة اليتيمة**. ويقع كتاب **اليتيمة** في أربعة مجلّدات تضمّ مختارات شعريّة ونثريّة تُعتبر بمثابة مسحٍ شاملٍ لنتاج الأدب في العالم الإسلاميّ في النصف الثاني من القرن الرابع الهجريّ، وهو كتاب مُرتّب جغرافياً ويشتمل على ٤٧٠ شاعراً وواضع نثر. ويتبع كتاب **النتمة** الترتيب نفسه، إلّا أنه يُدرج مصنّفين عرفهم الثعالبي في حياته لاحقاً بعد تأليفه الكتاب الأول. وتكمن فريدة هذين العملين في أنّهما يتناولان الأدب المعاصر (للثعالبي) حصراً وأنهما يرتبان مادّتهما الأدبيّة جغرافياً، وليس على العصور أو الموضوعات.

* * *

^١ لترجمة مُفصّلة له راجع،

Bilal Orfali, *The Art of Anthology*, chaps. 1–2; Everett Rowson, "al-Tha'ālibī, Abū Manṣūr 'Abd al-Malik b. Muḥammad b. Ismā'īl", *EF* X, 426a–427b.

طلب كثير من الأدباء، من الشعراء ومؤلفي النثر على السواء، رعاية الأمراء والوزراء والولاة أو العائلات النافذة. وقد كانت بلاطات القرن الرابع الهجريّ عامرة في المدن المختلفة بالعالم الإسلامي، في فيء الدويلات المتناحرة التي نشأت في ظلّ الدولة العباسية، وقد تزاخم الأدباء للتكسب فيها. ففي هذا القرن لم يعد بلاط الخليفة العباسي في بغداد هو المحجة. وقد أسهم تنوع البلاطات بطبيعة الحال في زيادة عدد المناصب المتوافرة وكذا في زيادة الحاجة إلى أفراد متعلمين للقيام بمهامّ محدّدة فيها. على أنّ الحُكّام كانوا انتقائيين، وكانت المنافسة بينهم شرسة. وقد اختلفت أيضًا طبيعة المناصب، فكان من الأدباء زائرون طارئون أو مقيمون في البلاطات لفترات أطول؛ وقد اكتفى بعضهم بمناصب ثابتة ومحدّدة ككاتب في ديوان الرسائل أو أمين مكتبة أو مجرد نديم، فيما تطلّع آخرون إلى مكّرمات الحُكّام وعطاياهم الفورية بين الحين والآخر.

وقد ظلّ عدد من الشعراء أوفياء لحاكم راعٍ واحد فقصوا معظم حياتهم في بلاطه أو مسكنه. وبذا ارتبطت أسماءهم بهذا الحاكم. يذكر الثعالبي مثلًا أنّ أبا الفرج الإصفهاني (ت. ٩٦٧/٣٥٦) مكث في بلاط المهلب طوال عمره (ت. ٩٦٣/٣٥٢).^٢ ومثله القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الجرجاني (ت. نحو ١٠١٢/٤٠٣) الذي استقرّ في بلاط صاحب بن عبّاد (ت. ٩٩٥/٣٨٥) بعد رحلات طويلة،^٣ وأبو الحسن عليّ بن أحمد الجوهري (ت. ٩٨٧/٣٧٧) الذي كان من المحظيين عند صاحب.^٤ أمّا أبو العباس النامي (ت. ١٠٠٩/٣٩٩) فقد خلس بولائه لسيف الدولة (ت. ٩٦٧/٣٥٦) فكان ثانيًا بعد المنتبّي (ت. ٩٦٥/٣٥٤).^٥ ومن جهته، كان أبو منصور يحيى بن يحيى الكاتب (ت. نحو ١٠٤٣/٤٣٥) مُقرَّبًا من الأمير أبو الفضل الميكالي (ت. ١٠٤٤/٤٣٦).^٦ ويعبّر الثعالبي عن علاقات مماثلة بـ"شديد الاختصاص بـ"، و"اختصّ بـ"، و"اصطنعه لنفسه".

وعادةً ما كان الأديب يهّم بترك بلاط ما عندما تتدهور علاقته بصاحبه ويتوقّف الأخير عن التكرم عليه بالأعطيات والهدايا. لكنّ قبل الالتحاق ببلاط جديد، كان الأديب أحيانًا يمتلك من الحكمة ما يكفي ليخفي موقفه الحقيقيّ من حاكمٍ يمقته. فترى أبا الطيّب الطاهري (ت. نحو ٩٣٣/٣٢١) مثلًا "يخدم آل سامان جهراً ويهجوهم سرّاً". وقد نال قسطاً من كرهه لهم وزرأؤهم وأمورهم وحتى عاصمتهم بخارى.^٧

^٢ الثعالبي، يتيمة الدهر (يتيمة) ٣، ١١٤.

^٣ نفسه ٤، ٣.

^٤ نفسه ٤، ٢٧.

^٥ نفسه ١، ٢٤١.

^٦ الثعالبي، تتمة اليتيمة (تتمة)، ١٩٤.

^٧ الثعالبي، يتيمة ٤، ٩٦.

الاتحاق بالبلاط

كان الأدباء يتسابقون للتكسب من أيّ بلاط من بلاطات المدن الكبرى. وبطبيعة الحال، كان معظمهم مضطراً إلى الرضا بدايةً ببلاطات متواضعة أو محلية ثم متابعة السعي خلف فرص أفضل قبل الوصول إلى الشهرة، فالمشهورون منهم كانوا يتنقلون بحرية نسبياً من بلاط إلى آخر. تنقل أبو بكر الخوارزمي (ت. ٩٩٣/٣٨٣) مثلاً بين ستة بلاطات بلا دعوة تستقدمه؛ وإن كان احتاج إلى وساطة الصاحب بن عبّاد ليزور عضد الدولة [ت. ٩٨٣/٣٧٢]. وهنا نشير إلى ما زعمه التوحيدي [ت. ١٠٢٣/٤١٤] في كتابه **أخلاق الوزيرين** أنّ الخوارزمي كان يتجسّس لصالح الصاحب، وهذا ربّما يُبزر تلكؤ عضد الدولة في استضافته في بلاطه.^٨ وعلى العموم، قد يدعو أمير علماً مشهوراً إلى بلاطه مشقياً دعوته بالهدايا التشجيعية، كما حدث مع الصاحب بن عبّاد وأبي إسحاق الصابي.^٩ ويمكن رفض الأديب أن يستشير غيظ المضيف صاحب الدعوة، فلم يكن تحريض كلّ من الصاحب والمهلب الأديب للكتابة ضدّ المتنبّي إلاّ لأنه رفض دعوتيهما.^{١٠} وكان على الأديب أحياناً أن يردّ بلباقة دعوة وُجّهت إليه لأسباب عملية. فمثلاً رفض الصاحب بن عبّاد عرض الأمير نوح بن منصور الساماني (ت. ٩٩٧/٣٨٧) تسلّم منصب الوزارة لديه بحجّة عدم قدرته على الانتقال بحمولة كتبه الثقيلة التي تحتاج في نقلها إلى نحو أربعمئة ناقّة.^{١١} ويرجّح أن تكون هذه حجّة مفبركة أو علامة على أنّ العرض بذاته غير كافٍ، لكنّها تبرهن أيضاً على أنّ بعض الأدباء كانوا راضين بمناصبهم ولم يفكروا بالانتقال.

أمّا طلب الرعاية من حاكم أو أمير فموضوع متواتر في الأخبار منذ القرن الثالث للهجرة.^{١٢} كان استقبال شاعر في بلاط ما مرتبطاً بمدى اطلاع أمير ذاك البلاط على شعره. وفي القرن الرابع الهجريّ لم يكتب كثير من الأدباء الهواة أو المبتدئين دواوين أو كتباً مشهورة ومتداولة؛ بل عمدوا عوضاً عن ذلك إلى إرسال نتاجاتهم المتواضعة إلى الثعالبي في أوراق متفرقة أو رسائل عسى أن يضمّها إلى نسخته الثانية من **اليتيمة** أو **ذيلها التتمة**.^{١٣} فإن هم وُفقوا إلى ذلك، تبدأ أعمالهم تُتداول ما يكسبهم نوعاً من الاعتراف بتلك الأعمال خصوصاً إذا علّق عليها إيجاباً ناقد مشهور كالثعالبي. من هنا صارت

^٨ التوحيدي، **أخلاق الوزيرين** ١٠٨. للتفصيل انظر،

Erez Naaman, *Literature and Literary People at the Court of al-Ṣāhib Ibn 'Abbād*, 61.

^٩ الثعالبي، **يتيمة** ٢، ٢٤٦.

^{١٠} نفسه ١، ١٣٦، ١٣٨.

^{١١} نفسه ٣، ١٩٦-٧.

^{١٢} لدراسة تعالج هذا النوع من الأخبار وأهميتها انظر،

B. Gruendler, "Meeting the Patron: An *Akhbār* Type and Its Implication for *Muḥdath* Poetry" 59-88.

^{١٣} أنظر،

Bilal Orfali, *The Sources of al-Tha'ālibī in Yatīmat al-dahr and Tatimmat al-Yatīma*, 8.

المختارات التي يجمع فيها مؤلفها أعمالاً لمصنّفين معاصرين له وسيلة لنشر الأدب الأصيل،^{١٤} أدب أولئك الشعراء الذين لم يتخذوا الشعر صنعتهم الرئيسية ولم تكن دواوينهم مشهورة، لكنهم كانوا بالرغم من ذلك لا يزالون يرجون الانتشار والولوج إلى البلاطات.

كانت تسبق الأديب سمعته إذا حالفه الحظ، لكنه كان محتاجاً أحياناً إلى إقامة (أو توثيق) عُرى التواصل بينه وأمير معين بأن يبعث إليه شيئاً من نتاجه - رسالة أو قصيدة، أو كتاباً - ليبرهن على موهبته. وربما صرّح الأديب أحياناً برغبته في زيارة هذا البلاط أو ذاك؛ أما إذا كان عائداً إلى بلاط فكان يصحّ له في هذه الحال أن يبّرر غيابه وربما أن يعتذر عنه.^{١٥} وقد يحدث في أحيان أخرى أن تطرق مسامع الأمير نيّة الأديب زيارته، فيبتدئه بإرسال دعوة للقُدوم إليه.^{١٦}

وربما يلتمس الأديب وساطة طرف ثالث. في صغره، حضر الهمذاني (ت. ١٠٠٨/٣٩٨) برفقة والده إلى بلاط الصاحب مثلاً.^{١٧} وقد ظهر مع هذه الوساطات الشائعة آنذاك، بحسب بياتريس غرونديلر، نوعٌ جديدٌ من شعر المدح وفيه يُعظّم الوسيط والأمير الذي قبِل الوساطة كلاهما.^{١٨} يذكر الثعالبي مثلاً أنّ الخوارزمي نصّح أبا طالب المأموني [ت. ٩٩٣/٣٨٣] بمدح الشيخ أبي منصور كُثير بن أحم لدفعه إلى التوسّط باسمه ليجد له مكاناً بين الأدباء بحاشية أمير الجيش أبي الحسن بن سيمجور.^{١٩} وتكون الوساطة أحياناً توصية خطيّة. وهنا يورد الثعالبي أيضاً ثلاث رسائل الأولى كتبها الصاحب بن عبّاد موصياً بأبي الحسن السلمي (ت. ١٠٠٣/٣٩٣) الذي أراد الانضمام إلى بلاط عضد الدولة وبأبي الحسن الجوهري الذي كان طامعاً بعناية أبي العبّاس الضبيّ [ت. قبل ١٠٣٧/٤٢٩] وبأبي الحسن السجزي النوقاتي الذي سأله أن يكتب له رسالة مماثلة قبل عودته إلى موطنه سجستان.^{٢٠} ولم يوجّه

^{١٤} أنظر تعداداً لمثل هذه الكتب في:

Bilal Orfali, *The Anthologist's Art*, 30-31.

^{١٥} أنظر مثلاً تجربة أبي تغلب مع عضد الدولة، الثعالبي، *يتيمة* ٢، ١١٧؛ وأبي القاسم الزعفراني مع الصاحب بن عبّاد، نفسه ٣، ٣٥٤.

^{١٦} أنظر مثلاً خبر الصاحب بن عبّاد مع القاضي أبي البشر الفضل بن محمّد الجرمانى، نفسه ٣، ٢٥٤.

^{١٧} الثعالبي، *يتيمة* ٣، ١٩٧ و٤، ٢٥٧. لا يحدّد الثعالبي موقع بلاط الصاحب، لكنه كان في الريّ العام ٩٩٠/٣٨٠؛ أنظر العتبي، *اليمني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة*، ١١٦. ويشير روسن من جهته إلى أنّ الهمذاني كان قدّم للصاحب صبيّاً بعمر الثانية عشرة، إن نحن صدّقنا حكاية يوردها الهمذاني نفسه في ديوانه؛ أنظر

E. Rowson, "Religion and Politics", 654.

^{١٨} أنظر

Beatrice Gruendler, *Medieval Arabic Praise Poetry*, 9.

^{١٩} الثعالبي، *يتيمة* ٤، ١٦٣-٤. عن أبي الحسن السيمجوري انظر العتبي، *اليمني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة*، ١٤٣؛ أنظر أيضاً،

C. E. Bosworth, *The Ghaznavids*, 58.

^{٢٠} الثعالبي، *يتيمة* ٤، ٣٤٢. ويختتم الصاحب هذه الرسالة بالقول إنّ خطّه المميّز وأسلوبه الإنشائيّ هما الشاهدان على موثوقيتها. لترجمة لهذه الرسالة وبحث حولها انظر

= Erez Naaman, *Literature and Literary People at the Court of al-Şāhib Ibn 'Abbād*, 69-70.

الصاحب توصيته بالسلامي إلى عضد الدولة مباشرة بل إلى كاتبه ووزيره عبد العزيز بن يوسف (ت. ٩٩٨/٣٨٨).^{٢١} ويسجل الثعالبي تلقي رسالة الصاحب:

ولم يزل السلامي بحضرة الصاحب بين خير مستقيض، وجاه عريض، ونعم بيض، إلى أن آثر قصد حضرة عضد الدولة بشيراز، فجهّزه الصاحب إليها، وزوّده كتابًا بخطّه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف نسخته: قد علم مولاي أطل الله بقاءه أنّ باعة الشعر من عدد الشعر، ومن يوثق بأنّ حليه التي يهديها من صوغ طبعه، وحلله التي يؤدّيها من نسج فكره أقلّ من ذلك. وممنّ خبرته بالامتحان فأحمدته، وفزّرتّه بالاختبار فاخترته أبو الحسن محمد بن عبد الله المخزومي السلامي أيّده الله تعالى، وله بديهة قويّة توفي على الرويّة، ومذهب في الإجابة يهشّ السمع لوعيه، كما يرتاح الطرف لرعيه. وقد امتطى أمله وخيّر له إلى الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل في سواد أمثاله، ويظهر معهم بياض حاله. فجهّزت منه أمير الشعر في موكبه، وحلّيت فرس البلاغة بمركبه، وكتابي هذا رائده إلى القطر، بل مشرعه إلى البحر. فإن رأى مولاي أن يراعي كلامي في بابه، ويجعل ذلك نرائع إيجابه، فعل إن شاء الله تعالى. فلما وردها تكفّل به أبو القاسم، وأفضل عليه، وأوصله إلى عضد الدولة، حتّى أنشده قصيدته... فاشتمل عليه جناح القبول، ودفع إليه مفتاح المأمول...^{٢٢}.

مقابلة صاحب البلاط

تتطلب مقابلة صاحب البلاط في المرّة الأولى أداءً خاصًا من جانب الأديب، لأنّ الكلمات الأولى التي يقدّم بها نفسه ستضبط إيقاع العلاقة المستقبلية بينهما. وفي مطالعتها مقابلة صاحب البلاط عنصرًا أساسيًا في الكتب المخصّصة للشعراء من القرن الثالث/التاسع ميّزت بياتريس غرونديلر أدوات وشخصياتٍ مكرّرة في مشهديّة المقابلة هذه.^{٢٣} وتنقل لنا الأخبار في اليتيمة عن الشعراء الذين قوبلوا بالترحيب، أمّا أولئك الذين لم يُوقّفوا إلى ذلك فظلّوا طي الكتمان في غالب الأمر.

ومن بين كثير من تلك القصص المرويّة في الأخبار ينقل الثعالبي أنّ أبا الحسن العلوي الوصي الهمداني (ت. بعد ٩٩٨/٣٨٨)^{٢٤} أطل التفكير والتأمّل بلقائه الصاحب أول مرّة قبل أن يستعير الإشارة

= ويشير الثعالبي أيضًا إلى أنّ أبا دُلف الخزرجي (ت. ١٠٠٠/٣٩٠) حمل معه عدّة رسائل توصية كتبها له الصاحب فتحت له أبواب البلاطات. أنظر الثعالبي، يتيمة ٣، ٣٥٧.

^{٢١} عن عبد العزيز بن يوسف انظر نفسه ٢، ٣١٣ وما بعدها.

^{٢٢} نفسه ٢، ٤٠١-٢.

^{٢٣} أنظر،

B. Gruendler, "Meeting the Patron."

^{٢٤} وقد خلف الصاحب بن عبّاد في بلاط الأمير محمود الغزنوي (ت. ١٠٣٠/٤٢١)؛ أنظر العتيبي، تاريخ اليميني ١٦٣.

إلى يوسف من آية قرآنية إذ قال: "ما هذا إلا بشر كريم"،^{٢٥} وبمثله ردّ الصاحب بذكاء مستعيناً بآية أخرى من السورة نفسها: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُقِنِّدُونِ﴾.^{٢٦}

مغادرة البلاط

تنقل الأدباء المدرجون في اليتيمة والتنمة بين البلاطات، متحوّلين بولائهم بسهولة من هذا الأمير إلى ذلك. وما العيش في كنف الأمراء إلا عقد أو اتّفاق يؤدي الإخلال بأحد شروطه إلى إنهاء العلاقة بين طرفيه. وقد اختصر الشاعر أبو الحسن النوقاتي هذه الشروط في البيتين التاليين:

إذا بخلت ببزي ولم أنل منك رفدا
فأنت مثلي عبدٌ وفيم أخدم عبدا؟^{٢٧}

وفي حالات كثيرة قد يقع ما يُغضب الأمير أو يُذلّ الأديب فيضطرّ الأخير إلى الرحيل. وقد دُكرت حوادث مماثلة عديدة في مدخل الصاحب بن عبّاد، كإطلاق ريح غير مقصود مثلاً، وهو ما حصل مرتين في بلاط الصاحب: "وحدّثني الهمذانيّ قال: كان واحد من الفقهاء يُعرف بابن الخضيريّ، يحضر مجلس النظر للصاحب بالليالي، فغلبته عيناه مرّة وخرج منه ريح لها صوت، فخلج وانقطع عن المجلس، فقال الصاحب: أبلغوه عنيّ:

يا ابن الخضيريّ لا تذهب على خجلٍ
لحادثٍ منك مثل الناي والعود
فإنّها الریح لا تستطيع تحبسها
إذ أنت لست سليمان بن داود

وحكي أنّ مثل هذا الأمر وقع للهمذانيّ في مجلس الصاحب فخلج، وقال: صرير التخت، فقال الصاحب: أخشى أن يكون صرير التخت. فيقال إنّ هذه الخجلة كانت سبب مفارقتة الحضرة وخروجه إلى خراسان.^{٢٨}

وقد جُمع الحادثان لتشابههما ولأنّهما وقعا في بلاط الصاحب، وهذا ما أتاح للثعالبي أن يُسقط الجزء الأوّل من الخبر الثاني صارفاً اهتمامه إلى افتراق النتيجة: أظهر ابن الخضيريّ ندمه فغفر له، أمّا الهمذاني فلم يعترف بفعلته وكان عليه أن يرحل.

وربّما يفرّ الأديب أحياناً من غير أن ينتظر قافلةً حتّى، كما حدث مثلاً مع أحد المستشعرين الذي انتحل من شعر الصاحب.^{٢٩} لكنّ الأمير قد يقبل تصرّفاً أرعن من أديب متمرّس، فكذا فعل المهلبيّ مع

^{٢٥} الثعالبي، يتيمة ٣، ٢٠٤؛ إشارة إلى الآية: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، يوسف ١٢:٣١.

^{٢٦} الثعالبي، يتيمة ٣، ٢٠٤؛ يوسف ١٢:٩٤.

^{٢٧} الثعالبي، يتيمة ٤، ٣٤٣.

^{٢٨} الثعالبي، يتيمة ٣، ٢٠٢.

^{٢٩} نفسه ٣، ٢٠٠.

ابن لنكك البصري (ت. ٩٧٠/٣٦٠). يقول الثعالبي: "ودعاه [ابن لنكك] يوماً الوزير المهلبى إلى طعامه، فبينما هو يأكل معه إذ امتخط في مندبل الغمر، وبزق فيه، ثم أخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت نواتها فأصابت عين الوزير، فتعجب من سوء شرهه، واحتمله لفرط أدبه".^{٣٠}

وقد يحدث أن يصحح أديب وأمير علاقتهما بعد انقطاع. على سبيل المثال، اتصل أبو محمد الخازن (ت. نحو ٩٩٨/٣٨٣) بالصاحب بن عبّاد بعد عشر سنوات من البعاد معتذراً عن تركه بلاطه "طوعاً"، متحدثاً عن المحن التي ابتلي بها طوال تلك السنوات، مشدداً على أنه عائد اضطراراً وعلى أن الغربية قد أدبته.^{٣١}

لكن ارتحال أديب عن بلاط لم يكن سببه بالضرورة تنازلاً بين الأديب وصاحب البلاط؛ فقد ترك ابن الحجّاج بلاط ابن العميد وهو لما يزل يمدحه ومن دون أن يحدّد وجهته أو سبب مغادرته.^{٣٢} حتى إنّ الأديباء قد يطلبون الإذن بالرحيل من الأمير. وذلك حال أبو طالب المأموني بعد أن أفسد أعداؤه علاقته بالصاحب (قيل إنّه لعن المعتزلة)،^{٣٣} وهو الذي أصرّ في قصيدته الوداعية على أنّه سيظلّ يحكي عن كرم الصاحب. أمّا بعض الشعراء فيظهر أنّهم قد استمتعوا بأوقاتهم التي قضوها في البلاطات لكنهم ببساطة رغبوا بالعودة إلى الديار. وهذا ما حدث مع أبي الحسين محمد بن الحسين الفارسي وأبي الحسن السجزي النقطي اللذين حصلاً إذناً خطياً من الصاحب بالمغادرة. في هذه الأذون، يمدح الصاحب الأديبين، ويثني على مهارتهما الأدبية وطبائعهما، ويؤكد أنّه كان يرجو استبقاءهما في البلاط.^{٣٤} ومن جهته، حاز الشاعر السلامي على تقديم إلى بلاط عضد الدولة من الصاحب بن عبّاد راعيه السابق.^{٣٥}

* * *

يظهر في اليتيمة والنتمة جانب من حياة البلاطات في القرن الرابع الهجري كما يبرز دور الثعالبي مؤرخاً أدبياً. فالثعالبي يخبرنا عمّا كان يبحث أصحاب البلاطات: كيف كانوا يتخيرون الأديباء المتقدّمين للالتحاق ببلاطاتهم، وكيف كانت تبدو آنذاك رسائل التوصية، وامتحانات القبول، ومقابلات العمل، والعروض، والمفاوضات على الشروط. وقد كانت الكتب توضع وتُهدى للأمرء وتُعنون باسمهم

^{٣٠} يتيمة ٢، ٣٥٢.

^{٣١} نفسه ٣، ٣٢٥-٣٢٦؛ لأخبار مماثلة انظر نفسه ٣، ٢٠٣. وعن هروب الخازن من بلاط الصاحب انظر،

Erez Naaman, *Literature and Literary People at the Court of al-Şāhib Ibn 'Abbād*, 58.

^{٣٢} الثعالبي، يتيمة ٣، ٩٤.

^{٣٣} نفسه ٤، ١٦١-٢. وقد تناول إيريز نعمان هذه الرواية بالتحليل في،

Erez Naaman, in *Literature and Literary People at the Court of al-Şāhib Ibn 'Abbād* 47ff.

^{٣٤} الثعالبي، يتيمة ٤، ٣٤٢-٣، ٣٨٥.

^{٣٥} نفسه ٢، ٤٠١.

أحيانًا. ونرى أنّ الثعالبي كان يبسط القول في تلقّي الأُمراء كتبًا مماثلة وفي المكافآت التي كانوا يجزون بها مؤلّفِها.

وتسَطَّر معظم هذه الأخبار قصص نجاح وتوفيقات في الوصول، شاهدة بذلك على مهارة الأدباء وموهبتهم. كما وتبرهن على كرم الأُمراء وحرصهم على انتقاء أدباء البلاط. والأخبار ممتعة من جهة، ويُسجَل فيها عدد من الأقوال والتواقيع والرسائل القيّمة من جهة أخرى. وتوهّل هاتان الميزتان هذه الأخبار لثُضْمَن في كتب الاختيارات الأدبيّة.

علاوةً على ذلك، إنّ رعاية البلاطات وسعي الأدباء في طلبها ثيمتان شائعتان في كتب الاختيارات الأدبيّة في القرن الرابع الهجريّ. ولعلّه يمكن القول إنّّه من أهداف اختيارات الثعالبي الترويج لأعمال من عاصره من الشعراء والأدباء، وإضاءة الطريق لهم من خلال أخبار هذه الشخصيّة المثل أو تلك التي يُراد لهم أن يسيروا على خطاها، وكذلك عبّر قصص النجاح والفشل التي توضع بين أيديهم. لم تكن كتب الاختيارات دائمةً مصنّفات ثانويّة تجمع أجزاء من دواوين أصيلة و"كتب" شائع تداولها، بل كانت أحيانًا، كما هي حال اليتيمة، ثمرة تواصل حيويّ بين الأدباء. كان الثعالبي بذلك يحرس بؤابة عالم الأدب المعتمَر الجدير بالتقدير. من خلال الأخبار التي جمعها في عمله، أرشد الثعالبي أدباء عصره، سيّما أقرانه الخرسانيّين إلى كفيّة الحصول على منصب في البلاط وكفيّة المحافظة عليه، والعمل على استعادته إن هم يومًا فقدوه.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- التوحيدي، أبو حيان. أخلاق الوزيرين. تحقيق محمد تاويت الطنجي. بيروت: دار صادر، ١٩٩٢.
- الثعالبي، أبو منصور. تتمّة اليتيمة. تحقيق مفيد محمد قميحة. بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٣.
- _____. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: المكتبة التجاريّة، ١٩٥٦.

- العتبي، محمد بن عبد الجبار. اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي. تحقيق إحسان دنون الثامري. بيروت: دار الطلعة، ٢٠٠٤.

المراجع

- Bosworth, C. E. *The Ghaznavids: Their Empire in Afghanistan and Eastern Iran, 994–1040*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1963.
- Gruendler, Beatrice. *Medieval Arabic Praise Poetry*. London 2003.
- . “Meeting the Patron: An *Akhbār* Type and Its Implication for *Muḥdath* Poetry.” In Sebastian Günther (ed.), *Ideas, Images, and Methods of Portrayal*. Leiden 2005, 59–88.
- Naaman, Erez. *Literature and Literary People at the Court of al-Ṣāḥib Ibn ‘Abbād*, PhD dissertation, Harvard University, Cambridge 2009.
- Orfali, Bilal. *The Anthologist’s Art: Abū Mansūr Al-Tha‘ālibī and His Yatīmat Al-dahr*. Leiden: Brill, 2016.
- . *The Art of Anthology: Al-Tha‘ālibī and His Yatīmat al-dahr*, PhD dissertation, Yale University, New Haven 2009.
- . “The Sources of al-Tha‘ālibī in *Yatīmat al-Dahr* and *Tatimmat al-Yatīma*.” *Middle Eastern Literatures* 16 (2013), 1–47.
- Rowson, Everett. “Religion and Politics in the Career of Badī‘ al-Zamān al-Hamadhānī.” *Journal of the American Oriental Society* 107 (1987), 653–73.